

الليل ويخرج من الذين كانوا يعبدون هذه الانصاب مع أن الرجل يحلف بها ويصرح بانها « معبرة » ولا يُعقل أن أحداً يحلف بعبود غيره اذا كان يعتقد باطلاً . وزد على ذلك أنه يقول : « انصاب » لنا ، بضمير المتكلمين فجعل نفسه في جملة أصحاب تلك الانصاب ووصفها « بالعادية » أي القديمة اثباتاً لرسوخ عبادتها في قومه وان هذه العبادة انتهت اليه عن أسلافه الاولين . ولكن الظاهر ان حضرة الاب كلما عثر على من شك في دينه أو جُهل أمره عده نصرانياً تكثرأ بالباطل وتبجحاً بما ليس وراءه طائل ، اهـ (الضياء ٥ : ٢١٨)

ثم أنجبل حضرة الاب ان من الثغالبية من اتبع سجاح بنت الحارث بن سويد ابن علفان الثبنة فليراجع الطبري ١ : ١٩١١ برآهم تركوا التصرع مع رئيسهم الحذيل ابن عمران وانضوا اليها . وعليه فلم تكن كل تغلب نصارى الباقي للآتي
بقداد أحد القراء

تسامح العظماء

تابع ما قبله

اتصل ثابت بن قرة الحراني بالمتضد وأدخله في جملة المنجيين وأقطعته ضياعاً جميلة وكان يجلسه بين يديه كثيراً بحضرة الخصاص والمام ويكون بدر الأمير قائماً والوزير وهو جالس بين يدي الخليفة . قال ابو اسحق الصابي وهو ممن حظي عند الامراء ايضاً : ان ثابتاً كان يمشي مع المتضد في الفردوس وهو بستان في دار الخليفة للرياسة وكان المتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ثم تثر المتضد يده من يد ثابت بشدة ففرع ثابت فان المتضد كان مهيباً جداً فلما تثر يده من يد ثابت قال له : يا ابا الحسن وكان في الخلوات يكنيه وفي الملاء يسميه سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت

عليها وليس هكذا يجب ان يكون فان العلماء يعملون ولا يعملون
وكان سنان بن ثابت بن قرة في خدمة المقتدر بالله والقاهر وخدم ايضاً
بصناعة الطب الراضي بالله . وكان ابنه ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة في
خدمة الراضي بالله ايضاً وخدم بصناعة الطب المتقي بن المقتدر بالله والمستكني
بالله والمطيع لله . واتصل ابو الحسن الحراني ثابت بن ابراهيم بن زهرون
بعضد الدولة وكان له منه الجاري السني . وكان غالب طيب المعتضد بالله
وكان أولاً عند الموفق طلحة بن المتوكل وارتضع سائر أولاد المتوكل من
ابن اولاد غالب فكان يرثهم فلما تمكن الموفق من الامر أقطعه ونوله
وأغناه وكان له مثل الوالد وعالج الموفق من سهم كان اصابه في ثدوته وبرأ
فأعطاه مالا كثيراً وأقطعه وخلع عليه وقال لفلانة من اراد اكرامي فليكرمها
وليصل غالباً فوجه اليه سرور بمشرة آلاف دينار ومائة ثوب ووجه
اليه سائر الغلمان مثل ذلك وصار اليه مال عظيم ولما قبض على صاعد وعبدون
أخذ لعبدون عدة غلمان نصارى بمالك فن اسلم منهم اجري له رزق وترك
ومن لم يسلم منهم بعثه الى غالب وكان عدد من أنفذ اليه سبعين غلاماً أزمة
وغيرها فلما ورد عليه معهم رسول من قبل الحاجب قال غالب : أي شيء
أعمل بهؤلاء ؟ وركب من وقته الى الموفق فقال : هؤلاء يستغفرون مال
ضبعتي مع رزقي . فضحك الموفق وتقدم الى اسمعيل زيادة في اقطاعه
الحرسيات وكانت ضياعاً جليلة تنل سبعة آلاف دينار وأوعدها له بخمسين
الف درهم في السنة وبعد الموفق طلحة خدم لولده المعتضد بالله ابي العباس احمد وكان
مكناً عنده حظياً في ايامه وكان المعتضد يحسن الظن به ويمتد على مداواته

وخدم ابو عثمان سعيد بن غالب المعتض بالله بصناعة الطب وحظي عنده وكان كثير الاحسان اليه والانعام عليه . وعوّل الملوك على صاعد بن بشر في العلاج ولطالما حصل له مال عظيم وحشمه الخليفة ووزيره وزكاه وقدمه على جميع من كان في زمانه . وكذلك ديلم داود بن ديلم خدم هذا المعتض بالله في الطب وخصّ به فكانت التوقيعات تخرج بخط ابن ديلم لحمله منه ومكانته وكان يتردد الى دور المعتض وله منه الاحسان الكثير والانعام الوافر . ومنهم ابو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي كان منقطعاً الى الوزير علي بن عيسى . ومنهم عيسى طيب القاهرة كان عمدته ويركن اليه ويفضي اليه بأسراره . وكان اسحق بن شليطا خادماً بالطب للمطيع لله . وفنون المتطبب كان يختص بخدمة بمختيار وبكرمه وسده امراً عظيماً . ونظيف القصر الرومي استخدمه عضد الدولة في البيمارستان الذي انشأه ببغداد وخلع عليه خلعة سنية . وكذلك ابو غالب بن صفية تقدم في زمن المستنجد بالله والمستضيء بأمر الله . وكذلك امير الدولة بن التليذ من رجال المستضيء بأمر الله وبلغت به الأنفة والغنى انه كان لا يقبل عطية الا من خليفة أو سلطان ، مدحه السيد النقيب الكامل بن الشريف الجليل والشريف ابو يعلى محمد بن الهبارية الباسي بقصبتين غراوين وذكرنا افضلهم وكاله كما مدح الشريف الرضي لبا اسحق الصايي كثيراً وكانت بينهما مودة اكيدة . وكذلك مدحه للطبرائي وابن جكينا وغيرهما كما مدح الشريف ابن الهبارية ابا الفرج يحيى ابن صاعد بن التليذ من أسرة امير الدولة وكان له جماعة من الانساب كل منهم متعلق بالفضائل والآداب ،

ومنهم اواحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي اليهودي كان في خدمة المنجد بالله . ومنهم ابو الخير الميحي طيب الناصر لدين الله . وابن نصر بن الميحي حطية أيضاً امره هذا الخليفة عقيب برثه من مرض على يده ان يدخل دار الضرب ويحمل من الذهب مما قدر أن يحمله ففعل به ذلك ثم أتته الخلع والدنانير من أم الخليفة ومن ولديه الاميرين محمد وعلي والوزير نصير الدين أبي الحسن بن مهدي العلوي الرازي ومن سائر كبار الامراء بالدولة فحصل من العين الدنانير عشرين ألف دينار ومن الثياب والخلع جملة وافرة وألزم الخدمة وفرضت له الجامكية السنوية والراتب والاقامة . وكان ابو الفرج صاعد بن هبة الله ابن توما طيب نجم الدولة ابي اليمن نجاح الشرايبي وارتقت به الحال الى ان صار وزيره وكتابه ثم دخل الى الناصر وكان يشارك من يحضر من أطبائه في اوقات امراضه ثم حظي عنده الحظوة التامة وسلم اليه عدة جهات يخدم بها وكان يمين يديه فيها عدة دواوين وكتائب قال ابن القفطي : انه كان بمنزلة الوزراء واستوثقه الناصر على حفظ اموال خواصه وكان يودعها عنده ويرسله في أمور خفية الى وزرائه ويظهر له في كل وقت

وخدم ابو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل الميحي بالدار العزيزة الناصرية الامامية وتقرب قرباً كثيراً . وكب بخدمته وصحبه الاموال وكانت له الحرمة الوافرة والجاه العظيم . ووصل ابو الحسن بن سوار المعروف بابن الحمار بالطب الى ان قبل له محمود الملك الارض وكان الملك محمود عظيماً جداً . وتقدم ابو سهل الميحي عند سلطان خراسان . وأجرى

الرشيد على منك الهندي رزقاً واسعاً وأموالاً كافية . وخدم اسحق بن سليمان الاسرائيلي الامام ابا محمد عبيد الله المهدي صاحب إفرقية بصناعة الطب . وكان يحيى بن اسحق الطيب في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله الاندلسي واستوزره وولي الولايات والمالات وكان قائد بطليوس زماناً وكان له من الناصر محل كبير كان ينزله منزلة الثقة ويتطلع على الكرائم والخدم . وهرون بن موسى الاشبوني خدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب واسحق بن قطار من أحبار اليهود خدم بالطب الموفق مجاهداً العامري وابنه اقبال الدولة علياً . وحداي بن اسحق من أحبار اليهود ايضاً خدم بالطب **الحكم** بن عبد الرحمن الناصر لدين الله . وكان ابن بكلارش يهودياً من اكابر علماء الاندلس في صناعة الطب وخدم بها بني هود .

وحظي بليطيان الطيب بطريق الاسكندرية على النصارى الملكية في أيام الرشيد ووهب له مالاً كثيراً وكتب له منشوراً في كل كنيسة في يد العقوبة مما أخذوها وتلقبوا عليها ان ترد اليه فرجع بليطيان الى مصر واسترد من العقوبة كنائس كثيرة . وخدم ابراهيم بن عيسى بالطب الإمبر احمد بن طولون وكذلك سعيد بن توفيل . وكان اسحق بن ابراهيم بن نسطاس في خدمة الحاكم بأمر الله ويعتمد عليه في الطب . وكان موسى ابن المازار في خدمة المزمز لدين الله العلوي وكان في خدمته ايضاً ابنه اسحق بن موسى المتطبب وكان جليل القدر عند المزمز ومثولاً أمره وانغم للمزمز موت اسحق لموضعه منه ولكفايته وجعل موضعه اخاه اسميل بن موسى وابنه يعقوب بن اسحق . وكان ابو الفتح منصور بن سهلان بن

مقشر طيب الحاكم بأمر الله ومن الخواص عنده وكان العزيز أيضاً يستطبه ويرى له ومحترمه وكان مقدماً في الدولة الفاطمية . وكان الحقيير النافع من أطباء الحاكم الخاص وكان ابن مقشر مكيئاً في الدولة الفاطمية حظياً عند الحاكم بلغ منه أعلى المنازل وأسنها وكان له منه الصلات الكثيرة والمطايا العظيمة ولما مرض ابن المقشر عاده الحاكم بنفسه وأطلق لمخلفه مالاً وافراً وخدم أفرائيم بن الرقان الخلفاء الذين كان في زمانهم عصر وحصل من جنتهم من الأموال والنعم شيئاً كثيراً . وكان ابن جيع الاسرائيلي من أطباء الملك الناصر صلاح الدين وحظي في أيامه وكان رفيع المنزلة عنده عالي القدر نافذ الأمر يعتمد عليه في صناعة الطب . وخدم أبو البيان بن المدور الخلفاء المصريين في آخر دولتهم ثم خدم صلاح الدين يوسف وكان يرى له ويعتمد على معالجته وله منه الجامكية الكثيرة والافتقار المتوفر وتعطل في آخر عمره من الكبر والضعف فاطلق له الناصر في كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل إليه ويكون ملازماً لبيته ولا يكلفه خدمة وتبقى على تلك الحال وجامكيته تصل إليه نحو عشرين سنة . وكان الرئيس بن هبة الله الاسرائيلي من خدمة الخلفاء المصريين بالطب وكانت له منهم الجامكية الواقعة والصلات المتوالية . وخدم الموفق بن شوعب الاسرائيلي الملك الناصر بالطب لما كان بمصر وعلت منزلته عنده . ومن حظي في أيام هذا أيضاً وأيام أخيه الملك المادل أبي بكر بن أيوب أبو المعالي بن تمام اليهودي . وكان السلطان صلاح الدين أيضاً يرى لأبي عمران الرئيس موسى الاسرائيلي ويستطبه وكذلك ولده الأفضل علي وهو الذي يمدحه القاضي

السعيد بن سناء الملك بقوله :

أرى طب جالينوس للجسم وحده وطب أبي هرمان للعقل والجسم
فلو أنه طب الزمان بعلمه لأبراه من داء الجهالة بالعلم
ولو كان بدر التمر من يستطبه لم له ما يدعيه من التمر
وداواه يوم التمر من كلف به وأبراه يوم التمر من السقم
وكان إبراهيم بن الرئيس موسى في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي
بكر بن أيوب . وكان أبو سليمان داود بن أبي المنى بن أبي فاته الطيب
حظياً عند خلفاء مصر . وكذلك ابنه أبو سعيد بن أبي سليمان جعله الملك
المادل في خدمة ولده الملك المعظم وأكرمه غاية الأكرام وأمر أن لا يدخل
قلعة من قلاع الأراكب مع صحة جسمه فكان يدخل في قلاعه الأربعة
كذلك وهي قلعة الكرك وقلعة جبر وقاعة الرؤها وقلعة دمشق . وخدم
أبو سعيد بالطب أيضاً الملك الناصر والملك المادل . وكان أبو شاكر بن أبي
سليمان مكيماً عند السلاطين جعله الملك المادل في خدمة ولده الملك الكامل
فبقي في خدمته وحظي عنده الحظوة العظيمة وتمكن عنده التمكين الكثير
وفل في دولته حظاً عظيماً وكانت له منه اقطاعات ضياع وغيرها . ولم يزل
يقتضه بالهبات الوفرة وكان الملك المادل يستمد عليه وكان يدخل في جميع
قلاعه وهو راجب . وكان أبو الفضل بن أبي سليمان طبيباً للملك المعظم في
الكرك ثم خدم الملك الكامل . وكان عيسى الرقي الف بالنفيسي في
خدمة سيف الدولة بن حمدان يأخذ أربعة أرزاق رزقاً بسبب الطب ورزقاً
بسبب النقل ورزقين بسبب علمين آخرين . وأنتم صلاح الدين على سكرة

الحلي التجلب وخلع عليه وأقطعه اراضي مؤبدة

وخدم موفق الدين بن المطران بالطب الملك الناصر صلاح الدين
ونحني في ايامه وكان رفيع المنزلة عنده عظيم الجاه وكان يحجب عنده
ويقضي اشغال الناس ونال من جنته من المال مبلغاً كبيراً قال ابو الظاهر
اسمى وكان يعرف ابن المطران ويأنس به : ان العجب والتكبر الذي كان
ينلب على ابن المطران لم يكن على شيء منه في اوقات طلبه العلم وقال انه
كان يراه في الاوقات التي يشتغل فيها بالنحو في الجامع يأتي اذا فرغ من
دار السلطان وهو في ركبة حفلة وحواليه جماعة كثيرة من المالك الترك
وغيرهم فاذا قرب من الجامع ترجل وأخذ الكتاب الذي يشتغل فيه في يده
أو تحت ابطه ولم يترك احداً من العلمان يصحبه ولا يزال ماشياً والكتاب
معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه فيسلم عليه ويقعد بين الجماعة وهو بكيس
ولطف الى ان يفرغ من القراءة ويمود الى ما كان عليه ثم انه اسلم فزوجه
صلاح الدين احدى حطابا داره وترقت حاله عند سلطانه الى ان كاد يكون
وزيراً وحصلت له اموال جمة من أمراء الدولة في حال مباشرته لهم في
امراضهم وتنافسوا في العطاء له

ومن خدم صلاح الدين ايضاً بالطب ابو منصور النصراني وابو النجم
النصراني وابو الفرج النصراني وخدم هذا الملك الافضل نور الدين علي بن
صلاح الدين ثم صار أولاده خدمة اولاد الملك الافضل. وخدم ابو الحجاج
يوسف الاسرائيلي بالطب الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين
وكان يعتمد عليه وخدم ايضاً الامير فارس الدين ميمون القصري. وكان

عمران الاسرائيلي حظياً عند الملوك واعتمدوا عليه ونال من جتهم الاموال
الجسيمة والنعم التي تفوق الوصف ولم يخدم احداً من الملوك في الصحة
ولا يقيد معهم في السفر وحرص به الملك العادل بان يستخدمه في الصحة
فا فعل وكذلك غيره من الملوك

وكان موفق الدين يعقوب الميحيي خدام الملك المعظم عيسى وصار
معه في الصحة وكان حسن الاعتقاد فيه حتى انه كان يعتمد عليه في كثير
من الآراء الطبية وغيرها فينتفع بها ويحمد عواقبها وقصد الملك المعظم ان
يولي به بعض تدبير دولته والنظر في ذلك فافعل واقتصر على مداومة صناعة
الطب فقط وكان قد عرض للحكيم يعقوب في رجله نقرس وكان يثور به
في اوقات ويألم بسببه وتمصر عليه الحركة فكان الملك المعظم يستصحبه في
أسفاره معه في محبة ويفتقده وبكرمه غاية الاكرام وله منه الجامكية النية
والاحسان الوافر

وخدم صدقة السامري بالطب الملك الاشرف موسى بن الملك العادل
أبي بكر بن أيوب وبقي معه سنين كثيرة في الشرق وكان يحترمه غاية
الاحترام وبكرمه كل الاكرام ويعتمد عليه وله منه الجامكية الواقعة والصلوات
التواترة . وكان مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد السامري شمس الحكماء
في خدمة الملك الناصر صلاح الدين وخدم ايضاً لمر الدين فرخشا بن
شاهان شاه بن أيوب وخدم بعده لولده الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه
وحظي في ايامه ونال من جته من الاموال والنعم شيئاً كثيراً وكان
يستشير في أموره ويعتمد عليه في احواله

هكذا كان عظماء الاسلام ياملون أهل ذمتهم من نصراني ويهودي
وسامري ومجوسي يوحون لهم بأسرارهم ويظلمونهم على خويصة انفسهم
ويوسدون اليهم معات أمورهم ويأمنونهم على حرمهم وأرواحهم وينفقون
عليهم هباتهم واحساناتهم ويرفعون منزلتهم ومكاثتهم لا ينظرون في ذلك
الى نحلة ولا مذهب ولا يعتدون بمخالف ولا بموافق بل يتدبرون الكفآآت
ويختارون الاصلح والانطب وقد قابل أولئك المقربون ساداتهم بصنوف
الامانة وخدموم فأحسنوا خدمتهم وقلما خان منهم الا بعض افراد فدت
يفترم واختلت عقولهم واحلامهم وضلوا عن سواء السبيل

حكم وخواطر

من ترك شغله للوكلاء ضاع عليه النصف اذا ربح ودفع من ماله
الضعف اذا خسر

ما احتاج انسان مداواة اعدائه الا من فسولة أصدقائه
كما لا ترجو صداقة الكذاب فلا ترج صداقة الجبان لان الكذب
والجبن أخوان أبوهما الضعف

أدل الدلائل على حماقة المرء جمع الضدين على بنفسه والصادق الحكيم
يجمع الاضداد على حبه

اكثر ما تكون المواعظ كالخرف الصبني في البيوت تحفظ ولا تستعمل
تخود الهم عند اشتغال اللهم

انما آثر الناس العدو العاقل لا لانه لا يضر بل لانه أبلغ في الضرر